

عَلَيْهِمْ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (الروم/ 30)، غير أن كثيراً من الناس تثقل بهم أهواؤهم فتجنح بهم إلى مكان سحيق فيخسرون أنفسهم ويخسرون حياتهم ومستقبلهم لأن مغريات الحياة كثيرة وجذابة.

وأول ما يلفت الإسلام نظر المرء إليه أن الجري مع الهوى والانصياع لوساوسه التي لا تنقضي لن يشبع النفس ولن يرضى الحق.. قال تعالى: (زُرِّيْنَا لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ) (آل عمران/ 14)، ومن ثم حذر القرآن من اتباع الأهواء المحرمة فيقول تعالى: (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الدَّيْنَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) (ص/ 26).

إن حاجات النفس الإنسانية الحلال ليست سيئة، وقد لاحظ القرآن الكريم هذه الناحية فنص صراحةً على إباحة الرغائب السليمة للنفس، وترك لها فرصة التوسع الطيب، وعدّ التدخل بالخطر والتحريم والتضييق على النفس في هذه الدائرة الكريمة قريناً لعمل السوء والفحشاء. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنِ الْأَرْضِ فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّ نَاسًا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة/ 168-169).

أجل إن حظر الحلال الطيب قول على بلا علم وهو أخو السوء والفحشاء اللذان يأمر بهما الشيطان. فالإسلام يكره أن تعالج الغرائز بالكبت العنيف، ويشجع لها المنهاج الوسط بين الإفراط والتفريط. نعم، إن الإسلام يحترم الفطرة الخالصة، ويحذر من الأهواء الجامحة الفاسدة ويقوم في وجهها السدود. والعبادات التي أمر بها الإسلام هي تدعيم للفطرة وترويض للهوى. ولن تبلغ هذه العبادات تمامها وتؤدّي رسالتها إلا إذا كانت كلها روافد لتكوين الخلق العالي والمسلّم المستقيم.